المساجلات فى شعر عبد المنعم الرفاعى

د . محمد أحمد موسى صوالحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم،

أما بعد:

فهذا البحث يتعلق بالمجالس الأدبية والنقدية التي كان يعقدها جلالة الملك عبد الله بن الحسين في قصريه رغدان والشونة حيث يتكون هذا البحث من ثلاثة فصول الفصل الأول تحدثت فيه عن المجالس الأدبية في قصر جلالة الملك عبد الله ابن الحسين وتحدثت في الفصل الثاني عن المساجلات الشعرية في قصر الملك عبد الله ابن الحسين رحمه الله وتناولت في الفصل الثالث شعره السياسي وبعض الملامح الفنية في شعره .

الباحث

د.محمد أحمد موسى صوالحة

الفصل الأول
المجالس الأدبية في قصر الأمير عبدالله بن الحسين

لقد قامت في قصر الأميرعبدالله بن الحسين نهضة أدبية نشطة يجدر بنا أن نشير اليها، ونحن بصدد الحديث عن الحياة الفكرية والأدبية.

لقد فتح الأمير قصره لهؤلاء الأدباء الوافدين على الأردن، وإلى الأدباء من أبناء الأردن على حد سواء.

وتحدث تيسير ظبيان عن هذه المجالس قائلا:"لم تكتحل عيناي في جميع سني حياتي بمشاهدة مجلس أجل شأنا وأشد هيبة وأرفع قدرا، وأنبه ذكرا وأطيب أثرا،وأوقع في النفس، وأحب إلى القلب، من تلك المجالس الخاصة، التي كانت تعقد من حين لآخر في قصر رغدان أو بسمان أو المشتى في الشونة، برعاية الأمير عبدالله بن الحسين،لما كان يدور فيها من مساجلات شعرية، ومطارحات أدبية، ومناقشات دينية وعلمية، وحوار سياسي، على مستوى رفيع . [١]

ونستطيع أن ندرك فصاحة الأمير وشاعريته المتقدة، بقوله_بداهة وارتجالا_ متشوقا إلى الحجاز والبلد الحرام:

تلك حمامتي إلى خير أرض * ضمها النور والهدى والسناء
إن دنت بي إلى مقام كريم * فهي عتق لايعتريها الشقاء
هو قصدي وغايتي ومرامي * إن أصله فتلكم النعماء[٢]

فمما سبق يتضح لنا أن الأمير (الشاعر) دائم الشوق والحنين إلى مكة والبلد الحرام، وبخاصة بعد إقامته في شرق الأردن ورحيله عن الحجاز.

(١) تيسير ظبيان:الملك عبدالله كما عرفته /ص٦٠
(٢) المرجع السابق: ص١٠٠

وكما برع سموه في شعرالبديهة والارتجال، برع كذلك في في التشطير والمعارضات، ومن ذلك تشطير، قصيدة المتنبي :

(أمعفر الليث الهزبر بسوطه) أنت الذي يحمي هناك حلولا أرديته بالسوط حين رأيته (لمن ادخرت الصارم المصقولا) [١]

وكذلك تشطيره القصيدة الحصرية:

(ياليل الصب متى غده) قد حان الوقت نجدده

أمل للوصل يعلله (أقبام الساعة موعده) [٢]

وكذا تشطيره قصيدة الشاعرالملقب بجران العود: [٣]

(ذكرت الصبا فانهلت العين تذرف)

وعهد الصبا عهد له تتلهف

ذكرت رفاقا في منازل رحبة

(وراجعك الشوق الذي كنت تعرف) [٤]

ويرى عبد الحليم عباس في التشطير رأيا عجيبا، وهو قوله:

"إن التشطير في الغالب أصعب من النظم، فالناظم عنده صورة لايعرف الناس عنها شيئا، يستطيع أن يبرزها كما يشاء، أما في التشطيرفعنده صورة معروفة، لايستطيع أن يغير فيها أو يبدل، وكل زلة قد تفسد الصورة،ثم هو بعد هذا يعرض قوته وشاعريته، وقد وزنت مع شاعرية أخرى"[٥]

ويخالفه في ذلك الأستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف، الذي يرى :

---

(١) تيسير ظبيان: الملك عبدالله كما عرفته/ص٧٢.

(٢) عبدالله بن الحسين: الآثار الكاملة،ص٥٤٩،الدار المتحدة للنشر،بيروت.

(٣) شاعر نميري (اسمه عامر بن الحارث)

(٤) تيسير ظبيان: الملك عبدالله كما عرفته/ص٩١.

(٥) جريدة الجزيرة، عدد ٩٦٢،٢٨آذار ١٩٤٠م.

" أن ذلك عبث بالألفاظ بحيث يضيع فيه كثير من الوقت،وينفق فيه كثير من الجهد في غير طائل".[١]

وفي تصوري أن ما جاء به الأستاذ الدكتور خليف هو عين الصواب، لما يبذله المرء في ذلك من جهد، أما عن معارضاته فقد عارض الشريف الرضي، وأبا كبير الهذلي، وابن النحاس، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد "وكان أكثر شعر الأمير في المعارضات و التنظير و أكثر موضوعات التشوق إلى الحجاز.....ثم في المداعبات الشخصية"[٢]

ومن ذلك يتضح لنا أن مجالسه الأدبية إشراقةأدبية في سماء الأردن، حيث كانت تضم هذه المجالس نخبة من عيون أهل الفكر،وجهابذة الأدب وكبار المسؤولين من رجالات دولته، ومن بعض الأدباء والمفكرين من الأقطار العربية الشقيقة، أمثال عمر أبي ريشة[٣]، وعبد المحسن الكاظمي[٤]، واسعاف النشاشيبي[٥]، وكامل.

(١) انظر: د . عبداللطيف خليف، التيارات الجديدة في الشعرالعربي الحديث في مصر، ص٧٦، سنة١٩٧٧م.

(٢) د. ناصر الدين الأسد: محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن،ص٨٩.

(٣) عمر أبو ريشة: شاعر سوري معاصر، عمل في السلك السياسي وله ديوان شعري في جزئين.

(٤) عبد المحسن الكاظمي: شاعر عراقي، وفد عدة مرات على قصر الأمير.
انظر ترجمته في: خير الدين الزركلي، الأعلام، الجزء الرابع، ص٥٩٦.ط٣، بيروت١٩٦٩.

(٥) اسعاف النشاشيبي: أديب فلسطيني، له مجموعة من المؤلفات،راجع ترجمته في: يعقوب العودات العودات (البدوي الملثم)، من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ص٦٢٦، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان ١٩٧٦م.

شعيب العاملي [١]، ومحمد الحوماني [٢]، والشاعر وديع البستاني [٣]، وفؤاد الخطيب[٤]،وخير الدين الزركلي [٥]،والأمير عادل أرسلان [٦]، والشيخ مصطفى الغلاييني[٧]، والشيخ سعيد الكرمي[٨]، وتيسير ظبيان[٩].

ولعل هؤلاء الأدباء الذين وفدوا إلى الأردن، بعد سقوط حكومة فيصل بالشام، قدموا إلى الأردن لاستعادة المجد التليد، فانضمت من حوله طاقة عبقة من الشعراء الكتاب ألفوا بلاطا أدبيا عامرا"[١٠]

❁❁❁❁

(١) كامل شعيب العاملي: شاعر لبناني بايع الحسين بالخلافة، وإنضم إلى الثورة العربية الكبرى .

(٢) محمد الحوماني: شاعر لبناني مبدع، له عدة دواوين .

(٣) وديع البستاني: شاعر لبناني، ترجع كثيرا من الكتب، انظر ترجمته في الزركلي، الأعلام،ج٩،ص١٢٨.

(٤) فؤاد الخطيب: ولد في لبنان سنة ١٨٨٠، قدم إلى الأردن سنة ١٩٢٦، وبقي في الأردن حتى سنة ١٩٤٠، ولقب بشاعر الثورة العربية الكبرى.

(٥) خير الدين الزركلي: شاعر سوري من أعضاء المجمع العلمي بدمشق، قدم إلى الأردن وأقام فيه عامين . انظر ترجمته في: الأعلام، ج١٠،ص ٢٥٧.

(٦) عادل أرسلان: شاعر سوري، أقام في الأردن فترة من الزمن وعينه الأمير، مستشارا له.

(٧) الشيخ مصطفى الغلاييني: من أعضاء المجمع العلمي السوري، انظر ترجمته في الأعلام، ج٨، ج٨، ص١٤٦.

(٨) الشيخ سعيد الكرمي: ولد بطولكرم بفلسطين ودرس في الأزهر وعين عضوا في المجمع العلمي بدمشق وقاضيا للقضاة في الأردن .

(٩) تيسير ظبيان: أديب سوري، قدم للأردن بعد سقوط حكومة فيصل وعمل رئيسا لتحرير جريدة الجزيرة .

(١٠) د. ناصر الدين الأسد محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن، ص٨٧.

الفصل الثاني
المساجلات في شعر عبد المنعم الرفاعي

أصل المساجلة لغة كما جاء في لسان العرب" أن يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما في سجله مثلما يخرج الآخر فأيهما ملك فقد غلب فضربت العرب مثلا للمفاخرة وتساجلوا أي تفاخروا ومنه قولهم الحرب سجال "[1].

فالمساجلة بهذا المفهوم تعني المباراة والمفاخرة وأصبحت تطلق اصطلاحا على المباراة والمفاخرة في قول الشعر بحيث يقول الشاعر بيتا، فيرد عليه الشاعر ببيت آخر، ملتزما البحر والوزن والقافية والروي .

فهي أشبه بشعر النقائض والبديهة والإرتجال، وكان جلالة المغفور له الملك عبدالله بن الحسين بارعا في تلك المساجلات الشعرية ومن تلك المساجلات.

ومما قاله جلالة الملك عبدالله بن الحسين ناصحا (ضياء الدين) أخ الشاعر في أن يحذو حذو أخيه في نظم الشعر الذي تفوق فيه(عبد المنعم) على اقرانه ورضي عنه جلالته فقال :

(ضياء)ما الشعر تهواه وتطلبه في ذات نفسك قل لي أيها البطل
أخوك صناع شعر قد رضيت به يفوق أمثاله لاعاقه الأجل
لاأرتضي بعده شخصا يساعدني فافطن لعلك أن يسمو بك الامل

فأجبته على الفور :

الشعر ياسيدي معنى يفيض به من كان حولك بالآداب يحتفل

(١) لسان العرب، لابن منظور /ص١٠٢ مجلد٢ من الزاي إلى الفاء، أعاد بناءه يوسف الخياط وزميله

فيستمد العلى من نبعة شرفت أعلى لها مجدها آباؤك الأول
لئن نظمت قصيدي إنني غرد على ضفاف الندى أشدو وأرتجل[١]

ومن مساجلاته أيضا ماقاله عندما كان برفقة جلالته مسافرا معه إلى الكرك ومعهما عدد من الفرسان وهم يمتطون صهوات الخيل .وعندما وصلوا إلى (وادي الموجب) إلتفت إلى عبد المنعم الرفاعي وقال :

حمدت ذا الدرب في أولى وآخرة لولا الذباب ولولا كبوة الفرس

فرد عليه الرفاعي وقال :

وعن يميني واد غياهبه سجى الدجى كالحا مخلولك الغلس
يا (موجب) [٢] الذعر في نفسي وفي فرسي
لم يجدني فيك قول المشفق احترسي
نسير يقظى يدا موكولة بيد أردها عن هواها الشارد الشكس
فإن أمنت عثارا لست آمنها جمحا وكلتاهما من طبعها الشرس[٣]

إن في الشعر العربي القديم مقطوعات فريدة، تنطوي على أجمل المعاني، وأسمى الغايات، وهي بأسلوبها الجزل، وديباجتها المشرقة، تصلح أن تكون نبراسا لتوجيه الأمة، ومنهاجا للعمل:

ثم قال : وإني ليحضرني مقطوعة شعرية لا أدرى من قائلها وهي :

نذودهم عنا بمسننة ذات عرانين و دفاع
كأنهم أسد لدى أشبل ينهتن في غيل و أجزاع
حتى تجلت ولنا غاية من بين جمع غير جماع

(١) جريدة الرأي عدد ٦٢١١-١٩٨٧/٧/٨ص١٤ مذكرات عبد المنعم الرفاعي، الحلقة الثانية- الأمواج

(٢) وادي الموجب يقع في شمال الأردن

(٣) جريدة الراي، العدد السابق- المكان نفسه

ثم سأل الحاضرين من رجال الأدب والشعر، وكان منهم محمد الأنسي[١] والشيخ حمزة العربي الإمام الخاص لجلالته، والأستاذ عبد المنعم الرفاعي والأستاذ صبحي زيد الكيلاني[٢]، وتيسير ظبيان راوى الحكاية، وأخذ هؤلاء يتخبطون في تفسيرالأبيات، وطلبوا منه أن يسمح لهم بمراجعة المعاجم اللغوية،فأبى عليهم ذلك، وبعد انتهاء المأدبة، اتصل بالشاعر فؤاد الخطيب، وأملى عليه الأبيات، وطلب منه أن يسمح له بمراجعة المعاجم اللغوية فأبى عليه ذلك . وقال له :

"لقد سقطت في الامتحان معهم، ثم أخذ يشرح الأبيات للحاضرين وماقصده الشاعر، فقال : إن المسننة هي قطعة من الجيش، وكان اعتقاد الحاضرين أنها مشتقة من السنان أي الرمح، والعرانين قادة الجيش، وفسرها الحاضرون بالأنوف"[٣]

أما عن المساجلات الشعرية، التي كانت تقام في قصري رغدان العامر والشونة فهي كثيرة، ولا أستطيع أن آتي بما جاء فيها، فهي بحاجة الى بحث كامل، ولكني سأقتطف بعضا منها، لأدلل على ما ذكرته من قبل، ومن تلك المساجلات الشعرية التي كان لها صدى واسع في الأوساط الأدبية، ما كان يجري بين مصطفى وهبي التل ، وبين الأمير الشاعر، الذي قربه منه، بالرغم من بوهيميته وإغراقه في الشراب.

ومن أشهر المساجلات(قصة برفين) [٤] ومفادها أن هذه الفتاة، كتبت شكوى في الصحيفة، عن أناس لاخلاق لهم، أزعجوها برسائلهم اليها، وأنبت الصحيفة هؤلاء تأنيبا مرا، فنظم الدكتور محمد صبحي أبو غنمة[١] من فوره أبياتا جاء فيها قوله :

(١) محمد الأنسي: رئيس الديوان العالي لجلالته
(٢) صبحي زيد الكيلاني: رئيس تحرير جريدة الوفاء
(٣) انظر:تيسير ظبيان، الملك عبدالله كما عرفته،ص ٦١
(٤) برفين:فتاة شركسية أحبها عرار، ولكنها لم تبادله حبا

إن الذين وصفـتهم لم ينههم عما أتوا شرف يعز ودين
هم كالكلاب فإن سمعت نباحهم فتذرعي بالصبر يا برفين[٢]

وكان الدكتور أبو غنيمة [٣]، قد بارح عمان إلى دمشق وأقام فيها، فقرأ عرار الأبيات وهو في المنفى بالعقبة ورد عليه بقوله:

مالي وبرفين ياعشاق برفينا (أضحى التنائي بديلا من تدانينا)
وبدل المشيب أحلام الصبا ورعا (وناب عن طيب لقيانا تجافينا)
(ما كل مايتمنى المرء يدركه) فارفق بقلبي فقد أصبحت مسكينا
وحي عني زكاة منك تدفعها عن الشباب فتاة الطهر برفينا [٤]

وبعد نشر القصيدتين، اطلع عليهما الأمير الشاعر، الذي داعب عرارا، ولامه على تعلقه بفتاة أجنبية لم تأبه بحبه، أو تشفق على جراحات قلبه ، فقال الأمير :

ناديت من برفين غير سميعة فاصرخ وصح ماشئت يابرفين
إن كان شعرا مايقال فقد دنا وقت يصح لنا به التأبين
وأخوك بالشام العريقة نازل لك في قريبك مسعف وأمين[٥]
هبلتك أمك كيف تمدح دمية برطانة ضحكت عليها الصين [٦]

ورد عرار على الملك بقوله:

هلمم هلم نلم شعث قريضنا ويغير دين بني النسيب ندين

---

(١) محمد أبو غنيمة:ولد في اربد وتوفي في دمشق سنة ١٩٧١، وكان صديق العمر لعرار، ولكنه لم يجمع شعره في ديوان، لأنه كان ينسى مايقوله من شهر، ووضع كتابا أسماه (نظرة في أعماق الانسان)

(٢) برفين فتاة شركسية.

(٣) محمد أبو غنيمة ولد في اربد ،وكان صديق العمر لعرار.

(٤) البدوي الملثم (يعقوب العودات) عرار شاعر الأردن ص ١٣ ، دار القلم بيروت ١٩٨٠

(٥) و أخوك بالشام: قصد بها صديق الشاعر محمد صبحي أبو غنيمة

(٦) ديوان مصطفى وهبي التل ، عشيات وادي اليابس ص ١٩٦

فلقد تناولنا لواذ نقده جزل الحديث أخو حجاج رصين
تأبى عليه شمائل قرشية أن تستخف بمثلنا برفين
مولاي إن الحسن لاوطن له وحديث إخوان الصفاء شجون
ودع الملام فما يلين قناتنا في حبها تعريضك الموزون

ومن مساجلات الأمير مع شعراء القصر "أنه زار الشيخ حمزة [1] العربي مرة، فقال له : ارتجل بيتا نساجلك فيه أنا ومصطفى وهبي التل، فانصرف الشيخ إلى مدح آل البيت، فقال :

وما الآل إلا آل بيت محمد هم العز في الدنيا هم الذخر في الأخرى

فقال عرار :

فلا زال فينا سيد نزهو به نلوذ ونقضي في معيته العمرا

فقال جلالته:

وما الشعر بالإغراء والمدح إنما أرى الشعر في الآداب لست به أحرى

فقال الشيخ حمزة :

إذا لم يكن في مدح آل محمد قريضي فلا خطت أناملي الشعرا

فقال عرار :

كما هو في حسن إذا ما رأيته تعشقته حتما وأحبته مضطرا

فقال جلالته :

وإن رمت شعرا قل نسيبا وتابعن به الوصف أو لا فالفخار به أطرا
بنفسي ألوم اليوم أن جئت طالبا من الشيخ نبغي أن يجيد لي الشعرا

فقال عرار:

(١) ديوان مصطفى وهبي التل ، عشيات وادي اليابس،ص١٩٧

وقل ان ربحت الشوط في حلبة العلا أهنيك قد نلت الصدارة والفخرا

فقال جلالته:

فقيه له الفتيا يدير مدارها وبالعلم والأعمال نرجو له الأجرا

فقال عرار:

يهددنا حينا ويصفح تارة فإن شاءها عسرا وان شاءها يسرا[1]

وقد تحدث الأستاذ الشاعر عبد المنعم الرفاعي عن مساجلاته مع الملك عبدالله بن الحسين، بأنها كانت مثالا للذوق والأدب، بما كان يدار فيها من محاورات أدبية، واستطرد قائلا "كان رحمه الله شاعرا ويحب الشعر ويحفظه، وكان يشجع الشعراء ويجمعهم في مجلسه، وأذكر أنني كنت في حاشيته، في عداد أولئك الشعراء الكبار الذين انتقلوا إلى دار البقاء–رحمهم الله– ومنهم الشيخ فؤاد الخطيب ومصطفى وهبي التل ومحمد الشريقي وكنت أتساجل معه في الشعر فكنت أقرأ له قصيدة جران العود النميري الشاعر الجاهلي التي مطلعها

ذكرت الصبا فانهلت العين تذرف وراجعك الشوق الذي كنت تعرف

فكان رحمه الله يتأثر بها، ويقبل عليها يشطرها بيتا بيتا بكاملها أو قصيدة عمر بن أبي ربيعة "أمن آل نعمى أنت غاد فمبكر .....فيشطرها لتوه، أو قصيدة الشريف الرضي . أذكر أنه قال في مطلعها :

يقولون عارض للرضيّ قصيدة ومالي بالعبء الثقيل يدان

على أن نورا قد أفاض بيانه أضاء لي الأرجاء ثم هداني

أو قصيدة أبي الطيب في منازلة الأسد.

---

(١) انظر: تيسير ظبيان: الملك عبدالله كما عرفته،ص٨٦–٨٧

وانظر: البدوي العلثم، عرار شاعر الأردن،ص٢٣٥

وانظر: تركي أحمد،الحركة الشعرية في بلاط الملك عبدالله بن الحسين، وزارة الثقافة والشباب، عمان ١٩٨٠م

إن الناظر في المساجلات الشعرية لشعر عبد المنعم الرفاعي يجد أن ثمة صلة وطيدة بينه وبين جلالة الملك "عبدالله بن الحسين"

الذي كان شاعرا وناقدا و أديبا يحب الشعر والشعراء ويروي المرحوم عبد المنعم الرفاعي أن أول لقاء تم مع جلالته بأنه كان من هذا القبيل "فقد سمع عني أني شاعر، وكنت يومها معلما في مدرسة عمان الثانوية" فاستدعائي إلى ديوانه وأدخلني مجلسه وطرح علي بيتا من الشعر طلب مني أن أنظم على رويه فقال:

أجز لنا هذا البيت: (١)

أيا جبلي"وادي الرصيفة "إننا نزلنا الربى بالسفح ياجبلان

فأجبت على الفور :

كأنكما لوحان من غرّة الضحى على هجعة الأحلام يلتقيان

فقال: وبالشعب بين الربوتين منازلا حوين الدمى زيَّن كل مكان

فقلت : منازل يامولاي

فقال :" أتصحح أقوالنا .....لقد أفسدت لغتكم المعاهد الأجنبية فحسبتم أنفسكم علماء اللغة، واستمرّ الحوار بيني وبينه حتى إذا كان مساء ذلك اليوم، استدعاني إلى قصره وأصدر أمره بتعييني الكاتب الخاص لجلالته في ٢١تشرين أول سنة ١٩٣٨(٢)

لقد سر جلالته بالشاعر الناشىء"عبد المنعم الرفاعي "فقربه من مجلسه،واشترك معه في كثير من المطارحات الشعرية والمساجلات الأدبية.

فسر الأميربالفتى الناشىء وتعهده برعايته وعنايته، فأتاح له أن يتروى ممايدور في مجالس الأمير، من مطارحات في الشعر، ومن بحوث في اللغة والآداب الرفيعة"

(١) انظر: جريدة الرأي، عدد ٦٢٠٤ تاريخ ١٩٨٧/٧/١ص١٤-الحلقة الأولى من الأمواج – مذكرات عبد المنعم الرفاعي.

(٢) انظر: جريدة الرأي، العدد السابق،المكان نفسه

ومماسبق يتضح لنا أن هذه المجالس الأدبية، كان يشيع فيها من الظرافة والأدب ماهو جدير بالتقدير والاحترام، وبخاصة أن معظم هذه المساجلات كانت بديهة وارتجالا بين الملك وهؤلاء الشعراء. (١)

ومن المساجلات التي اشترك فيها الرفاعي مع الملك عبدالله والشيخ حمزة وعرار، ماقاله الملك من قصيدة مطولة جاء فيها على ذكر عرار:

لست للغور فاعلموا بالقالي انظروا الثلج في أعالي الجبال
إنما الغور جنة ورياض وسرور أيامه والليالي
أيها الشيخ صغ قريضا مصفى بين هذي الربى وتلك التلال
واخبر التل أن جل مرادى أن أراه يجول مثل مجالي
عند صوغ القريض أو نثر قول أو خطيب حكى نثير اللآلي

فقال الشيخ حمزة :

لم يدع سيد الجميع لنا في نظم هذا القريض أي مجال

فقال عرار

ليس هذا شعراُ لعمري ولكن هو سمط من اللآلىء الغوالي
واللآلىء ياشيخ هيهات أن تس لم يوما زمامها لمثالي

ولما تناهت أبيات هذه القصيدة للشاعر الأستاذ عبد المنعم الرفاعي، أملى على سيادة الشيخ حمزة العربي بالهاتف المعارضة الشعرية التالية:

هل رأيت الجبال فوق الجبال ناصعات بيض المدى والمجال
تكتسي هيبة وتبدى جلالا عبقريا أعظم به من جلال
والأعاصير والعواصف قامت تتبارى في عزمها لاتبالي
قد نسينا (شباط) يوم شهدنا شهر آذار بين قيل وقال

(١) انظر:جريدة الدفاع، بتاريخ ١٩٧١/٤/١٢م عدد ١٠٧٦٥ من مقال بعنوان في المرآة عبد المنعم الرفاعي ليوسف حنا

شيخ ياشيخ للشهور حديث والليالي تروى حديث الليالي
إن عمان لو تراها عروس قد تجلّت بحسنها والدلال
ترتجي عودة الأمير إليها فارفع القول للأمير العالي [١]

وكان شقيق الشاعر عبد المنعم الرفاعي (ضياء الدين) الرفاعي وكان يعمل في السلك السياسي، وكان وكيلا لوزارة الإعلام وكان يمارس قول (الشعر) ولكنه لم يكن مبدعا فيه مثل شقيقه عبد المنعم، حيث خاطبه جلالة الملك عبدالله وطلب اليه أن يقول شعرا فقال:

ضياء الدين هم يقول شعرا ويأبى الشعر أن يسلس قيادا[٢]
ضياء الدين احفظ ألف بيت وألفا بعدها تدرك مرادا[٣]

ويخاطبه مرة ثانية ويؤكد ما اقترحه عليه

أيها الشاعر الفتى تعلم كيف صوغ القريض وقت امتحان[٤]

ومن مساجلات الشاعر ماقاله مرتجلا رادا على الأمير "صقر القاسمي "أمير الشارقة عام١٩٦٦ الذي اتصل بالشاعر هاتفيا مساء يوم ١٩٦٦/٧/٢٤ وقرأ على الشاعر قصيدته التي يقول فيها :

ياصاح دع حلمي ينام ولاتثر بين الضلوع لواعجي وسرائري
حبا قضيت العشر من عمري وما باحت به بين الرفاق مشاعري
لونت درب مسيره بأزاهيري وعكفت أنشدها شجىّ مزاهري
وجعلت في سود العيون مكانه خوفا عليه من النهار الغادر

(١) البدوي الملثم، عرار شاعر الاردن، ص٢٣٨-٢٣٩
(٢) سكنها الشاعر للضرورة
(٣) تيسير ظبيان، الملك عبدالله كما عرفته/ص١٣
(٤) المرجع السابق/ص٩٦

حبا أغار عليه حتى لم أعد أقوى على ترديده في خاطري[١]

فيردد عليه المرحوم :عبدالمنعم الرفاعي :على نفس البحر والوزن والقافية والروي

متلفت أشتاق طيفك في المدى فأضمه بجوانحي ونواظري
أعطيك ما طالت يداي وما طوى صدري ومامالكت علي مشاعري
وتمنياتي كلما حدث المنى زمر الخيال على جناح الشاعر
أرنو إليك كمثل مارنت المها لوليدها أو ربرب لجآذر [٢]

إن المتتبع لهذه المساجلات الشعرية يلحظ أنها لم ترد في ديوان الشاعر "المسافر" وإنما ورد بعضها في مذكرات الشاعر التي قام بنشرها في جريدة الرأي الأردنية وجريدة الشرق الأوسط الدولية في آن معا.

وقد نشرت تلك المذكرات في خمس عشرة حلقة أسبوعية تحت عنوان الأمواج. كما ورد بعض هذه المساجلات في كتاب الأستاذ تيسير ظبيان الملك عبدالله كما عرفته وتركي أحمد صاحب كتاب " الحركة الشعرية في بلاط الملك عبدالله " وكتاب د. عيسى الناعوري "الحركة الشعرية في الضفة الشرقية في المملكة الأردنية الهاشمية وكتاب يعقوب العودات (البدوي الملثم) عرار شاعر الأردن

فهذه أمثلة شاهدة على ماكان عليه الملك عبدالله، من سعة الاطلاع، ونظم الشعر، والتذوق له، وكان جديرا حقا أن يتبوأ تلك المكانة من الاحترام والتقدير، من الأدباء والشعراء، إذ أنه لم يكن قبل قدومه حياة أدبية بمعناها الصحيح في الأردن، حيث كان معظم شعرهم باللهجة المحلية البدوية، والتي ليس لها شأن يذكر.

❁❁❁❁

(١) محمد أحمد موسى،عبد المنعم الرفاعي حياته وشعره /ص٥٥دائرة الثقافة والفنون/عمان١٩٨٧

(٢) المرجع السابق، المكان نفسه

الفصل الثالث
(أ) عبد المنعم الرفاعي وشعره السياسي

إن المتتبع لشعر عبد المنعم الرفاعي يرى أنه يعنى كثيرا بالشعر السياسي، فالحياة السياسية والأدبية قد غلبت على هذه الأسرة الرفاعية فقد اعتلى شقيقه الأكبرسمير الرفاعي رئاسة الوزراء خمس مرات وزيد الرفاعي أربع مرات و عبد المنعم الرفاعي مرتين وابن شقيقه زيد الرفاعي(سمير الرفاعي) مرتين

فيرى العقاد أن السياسة على صلة بالأدب فقال:" إن السياسة كما أعرفها وأميل لها، فهي على صلة بالأدب، كما أعرفه وأميل له، لأنها تستهويني بالمبادئ الإنسانية المطلقة، لا بالمبادئ العصبية الطبقية"(١)

فالسياسة لم تقف في وجه الشاعر بل شجعته على قول الشعر ودفعته إلى نظمه " فالشعر ينبع من الأعماق والوجدان.....

ولكي يؤمن الإنسان بمواقفه السياسيه وأفكاره، عليه أن يتبع هذا الموقف من الوجدان والمعتقد، فليس هناك تنافر أو تصادم بين النزعتين، بل على العكس تلاق وانطلاق"(٢)

وقد وصل الشاعرإلى أعلى المناصب في المملكة الأردنية الهاشمية "فكان وزيرا للخارجية ووزيراً للإعلام ونائبا لرئيس الوزراء، ورئيسا للوزراء، ومستشارا سياسيا لجلالة الملك حسين، وممثلا شخصيا لجلالته وعضوا في مجلس الأعيان"(٣)

---

(١) عباس العقاد، مراجعات في الأدب والفنون/ص١٥ دار الكاتب العربي بيروت ١٩٦٦

(٢) جريدة الرأي الأردنية ١٩٧٧/١١/١٨ عدد٢٧٦٣ السنة السابعة، عبد المنعم يتحدث للرأي ص٧–تجريبي في ديوان المسافر، أجرى الحوار محاسن الحمصي

(٣) انظر: د. عيسى الناعوري، الحركة الشعرية في الضفة الشرقية /ص٦٣
انظر: تركي أحمد، الحركة الشعرية في بلاط الملك عبدالله بن الحسين /ص١١١

فعبد المنعم الرفاعي واحد من الشعراء العرب المعاصرين الذين برعوا في كتابة القصيدة العربية التقليدية، والذين استطاعوا تطويعها لتعبر عن قضايا العصر وروحه فقد استطاع بالرغم من حضور التراث الشعري القديم في نصوصه، ايقاعات ولغة وصور، أن يجعل قصائده معبره عن ذاته، وعن عصره، وذلك من خلال قدرته على تمثيل النص التراثي وإعادة بنائه على نحو تتمازج فيه التجربة الماضية مع تجربة الشاعر الحاضرة(١)

ويمكن أن يشار هنا إلى أن عبد المنعم الرفاعي قد اتصل في مرحلة مبكرة من عمره بالملك عبدالله بن الحسين الذي كان شاعرا أديبا، التف حوله عدد من الشعراء والكتاب الذين شكلوا نواة الحركة الأدبية في الأردن، وفي بلاط الملك الشاعر كانت تعقد حلقات أدبية وتدور مساجلات شعرية، وكان لصلته بالملك عبدالله وحلقته الأدبية أثر في توجيهه نحو الاهتمام بالتراث الشعري العربي، كما كان لها أثر في توجيهه نحو حلقات مماثلة،وعندما كان سفيرا للأردن في القاهرة، كان يلتقي في بيته مرة في الأسبوع عدد من الأدباء والشعراء منهم :

عزيز أباظة، أحمد رامي، صالح جودت، إحسان الجابري والدكتورة سهير القلماوي وظافر القاسمي وصقر بن سلطان وغيرهم، وقد أشار صالح جودت إلى تلك الندوات في قصيدة شعرية بعثها إلى عبد المنعم الرفاعي جاء فيها:

أين لياليك وأنغامها وصحبة في زهرات اليراع
والليل من شدوك مستأنس والنيل مصغ في سحر والتياع (٢)

(١) د. محمد أحمد موسى، مجلة المنتدى من مقالة بعنوان المساجلات في شعر عبد المنعم الرفاعي،السنة الرابعة عشرة– العدد ١٦٦–مايو١٩٩٦/ص٣٢

(٢) قصيدة مخطوطة لصالح جودت/محمد أحمد موسى، رسالة ماجستير/عبد المنعم الرفاعي حياته وشعره ص٦١، من مقالة بعنوان الصالونات الأدبية لصالح جودت
وانظر مجلة الهلال،عدد مايو العدد الخامس سنة١٩٧٢/ص١٢٢ السنة الثمانون

كان عبد المنعم فارس الدفاع عن القضايا العربية التحررية في الأمم المتحدة، وكان بجاذبيته ولطفه ولباقته ودهائه يكسب لقضاياه الأنصار من أعضاء الهيئة، كما كان ممثلوا لعرب يلتفون حوله ويذكر أكرم زعيتر مكانة الشاعر عبد المنعم الرفاعي عندما وقف الشاعر يحيى الجزائر وثورتها ونضالها ويشيد باستقلالها ويحيي شهداءها وينشد قصيدته التي تغنى بها باستقلال الجزائر(١) ويقول

يابلادا حمل المجد لها مشعل الخلد وأعلام البقاء
تهتف الدنيا لها إذ أقبلت وتحييها بمخضل النداء
جلجلت خلف المدى ثورتها فمشى النصر لواء بلواء
زحفت إفر يقيا من غابها ونجوم الليل شعت بالضياء (٢)

"إننا نلاحظ في هذه القصيدة وغيرها أن الشاعر كان على شاكلة الشعراء القدامى الذين كانوا يسمون عبيد الشعر(٣)" وأنه كان يترتب في نظمه كي يخرج شعره خاليا من كل عيب أو نقص(٤) فهو شاعر فنان يحلل شعره ويحاسب نفسه حسابا عسيرا(٥)

" ولعل أدنى مقارنة بين قصائده المنشورة في ديوان المسافر، وأصول هذه القصائد كما ظهرت في الصحف والمجلات وغيرها، أو بين طبعتي الديوان

(١) انظر جريدة الشرق الأول، عبد المنعم الرفاعي في خاطري ص٧ بتاريخ١٩٨٦/٤/٢٩
(٢) عبد المنعم الرفاعي، المسافر/ص٥٦
(٣) تركي أحمد الرجا المغيض، الحركة الشعرية في بلاط الملك عبدالله بن الحسين١٩٢١-١٩٤٨ وزارة الثقافة والشباب ص١١٩عمان/١٩٨٠
(٤) محمد أحمد موسى، عبد المنعم الرفاعي، حياته وشعره، دائرة الثقافة والفنون عمان / ص٥٥
(٥) سمير قطامي، الحركة الأدبية في الاردن ١٩٤٨-١٩٦٧، وزارة الثقافة والتراث القومي ١٩٨٩ /ص٩٤

نفسه،الأولى والثانية اللتين أصدرهما الشاعر في حياته،من شأنها أن تكشف عن مقدار الجهد الذي كان يبذله في إصلاح قصائده وتهذيبها ومدى حرصه على تطويرفنه الشعري بوجه عام(١)

وقد نظم الشاعر في أخريات أيامه قصيدتين من الشعر وهما :

رحيل المقاتلين وذلك عندما اقترح على الفدائيين في بيروت مغادرتها إلى تونس فقال :

زحف الصخر خلفلكم والحديد أيكم ثائر وأيّ شهيد
الأعاصير يابني الريح هبت خلف أعلامكم ودوت رعود
أين أين الرحيل قد تقع الأرض وتهوى في أثركم وتميد
ويغيب السنا ويندثر الأحرار من بعدكم ويبقى العبيد(٢)

أما قصيدته الخمسون التي نظمها في أخريات أيام فهي درة أبي عمر الشعرية وختم حياته وبالعهد والولاء للأسرة الهاشمية التي احبته وأحبها، فأراد الله سبحانه أن تظل الدوحة الهاشمية عالقة في ذهنه وفكره وعاطفته فصاغ قصيدته (الخمسون) صورا شتى وألفاظا جزلة قوية، يخيل إليك أنك بصدد، شعر المتنبي أو أبي تمام يقول

خمسون والتفتت إليها الأنجم هذي تشع وهذه تتكلم
نقشت على صدر الزمان قصائدا شعراؤها النسب الطهور الأكرم
نظمت وقائعها كتائب هاشم ورعى سراياها الرسول الأعظم
ألقت إليك فتى الملوك قيادها فالسابحات محجل ومطهم(٣)

(ب) بعض الملامح الشعرية في شعر عبد المنعم الرفاعي

(١) ابراهيم الكوفحي محنة المبدع دراسة في صياغة اللغة الشعرية، منشورات أمانة عمان، مطبعة الروزنة عمان،طبعة ٢ ٢٠٠٧م ص ٩٢
(٢) مجلة المجلة عدد ١٣٤أيلول +١٩٨٢/ص٥٤
(٣) جريدة الشرق الأوسط عدد٢٥٤٣ بتاريخ ١٤//١١/١٩٨٥ ص٣ السنة الثامنة

الصورة الشعرية : لقد تفنن الرفاعي في إبراز كثير من الصور الشعرية، في ديوانه،ومن الصور الفنية التي رسمها الشاعر وأبدع في رسمها ماقاله الشاعر. عندما توفي الرئيس الراحل جمال عبد الناصر سنة ١٩٧٠ وكان الشاعر قد اشترك في تأبينه وقال

قضى جمال ودوت في المدى وسرت فالجوفي زفرات الهول منفطر
قضى جمال وناح السد وانتحبت على صدى نوحه الأهرام والعصر
قضى جمال وغصن النيل وارتجفت أمواجه واشرأب الورد والصدر
قضى جمال وماج الشعب في هلع كالبحر مصطخبا والسيل ينحدر
نادوا عليه حبيب الله فاختلجت في سدرة المنتهى أوراقها الخضر[١]

إننا أمام مشهد يفيض بالحزن والألم، استطاع الشاعر أن يرسمه بألفاظه الحزينة وصوره الرائعة، وقد تمكن الشاعر أن يضفي على الجمادات أثوابا حسية فجعل السد والأهرام يبكيان ألما وحزنا على الراحل العظيم والجو من هول النبأ يتشقق وأمواج النيل من هول الفاجعة ترتجف، ثم لاحظ الصورة الحزينة التي رسمها الشاعر لجموع أبناء الشعب المصري التي خرجت تودع زعيمها عنوان الوفاء والتقدير فهي كالبحر الهائج في هديره غضبا والسيل المندفع في انحداره ألما، ثم انظر ذلك النداء الذي رددته الجماهير الحاشدة، والذي دوت أصواته في أذنه ، وكيف أنه تفنن في إلقاء الضوء على المعنويات عندما جعل أوراق سدرة المنتهى تهتز ألما وحزنا على زعيمها. لقد ساهمت الألفاظ بظلالها وموسيقاها الحزينة على رسم الصورة المتسقة مع الجو

(١) ديوان المسافر صفحة ١٢٠

النفسي الأسيف الحزين الذي ملأ قلب الشاعر ثم لاحظ تكرار (قضى جمال) والذي يحمل في طياته مرارة الخسارة [١]

العاطفة: لقد بلغ الشاعر في صدق عاطفته بقصيدته عمر التي أرسلها إلى ابنه ويصف فيها ماعاناه الشاعر من مشقة وضيق بعد رحيل الزوجة، فأخذ يقوم على رعاية ابنه ويسهر عليه ويسليه باللعب والدمى ويقول

سكن المبيت سوى مؤرقة قد شدها لسريرك النظر
إن زل عنك غطاؤك انخلعت عيني وقمت إليك أبتدر
أحنو عليك وكل جارحة تحنو معي والسمع والبصر
أصبحت وحدي لايشاركني خل وأنت الليل والسمر

لقد وصل الشاعر القمة في عاطفته في هذه القصيدة، ولقد ساعدت الألفاظ والصور بإيقاعها ومضمونها على رسم هذا الجو الأسيف الحزين، لما آل إليه بيته بعد رحيل الزوجة وبخاصة وحيده (عمر) لقد تفنن الشاعر في اختيارألفاظ معبرة،يصعب أن تعبر عنها ألفاظ أخرى فلو وضعت كلمة (انفقأت) عيني بدلا من انخلعت لضعف التعبير وقل الإيحاء، ومن هنا فقد تعانقت الصور التعبيرية مع اللحظات الشعورية بحيث يصعب فك بعضها عن بعض وحقا كانت عواطف الشاعر ملتهبة في هذه القصيدة.

وفي تصوري أن الشعر الذي يخلو من العاطفة لا يمت إلى الأدب بأدنى صلة والشعر الذي تطغى فيه الفكرة على العاطفة يكون نظم عقل وليس شعر قلب، وأعتقد أن الشعر الذي يحرك العواطف ولا يثيرها لا يسمى أدبا فقوة العواطف وتدفقها في النص الأدبي من أهم المقاييس النقدية في الأدب وتعمل على خلوده .

(١) لمزيد من معرفة الصور الشعرية البسيطة والمركبة، أنظر، فواز أحمد طوقان، الصورة الشعرية عند عبد المنعم الرفاعي البسيطة والمركبة/ص٣٧-٧٨

وكانت المساجلات الشعرية تدور بين الأمير وبين هؤلاء الشعراء الذين اختلفت إقامتهم في قصره فمنهم من كان يقيم شهرا أو سنة أو يتخذ الأردن وطنا دائما له.

وكانت مجالسه هذه، أشبه ببلاط سيف الدولة الحمداني، أو مجلس عبد الملك بن مروان، بما كان يدور فيها من مطارحات شعرية "وكان الأمير هو قطب حركة هؤلاء، بما كان ينظمه شعرا أو بما كان ينظمه هؤلاء الذين ضمهم بلاط الأمير "[١]

وقد كان الأمير يتمتع بذكاء حاد وذاكرة قوية، ورشاقة أسلوب، وسرعة في البديهة، كما كان يحفظ كتاب الله، وكثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة، يضاف إلى ذلك ما كان يحفظه من شعر جيد، ونثر رائع .

"وكان يضفي على تلك المجالس جوا من الوقار والجلال،مشوبا بشيء من الفكاهة والمرح، ويستغرق المجلس الساعة أو الساعتين، أو الساعات الطوال ....دون سآمة أو ملل.... وأكثرها يعقد في المساء حتى بزوغ الفجر "[٢]

وكان الأمير عبدالله أكثر إخوته تعلقا بالأدب والشعر وقد وضع خمسة كتب هي :

(جواب السائل عن الخيل الاصايل، من أنا، الأمالي السياسية، مذكرات الملك عبدالله، وتكملة المذكرات) وقد جمعت في كتاب واحد تحت اسم الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين.

(١) انظر :ثقافتنا في خمسين عاما من مقال بعنوان "الشعر في الأردن"، د.هاشم ياغي، ص٨٠.

(٢) تيسير ظبيان: الملك عبدالله كما عرفته،ص ٦٠

ومما يرويه الأستاذ تيسير ظبيان عن تمكن الأمير من اللغة، وسعة ثقافته "أنه أقام مأدبة، لتناول طعام الإفطار في رمضان، ودعا إليها رجال دولته، وماكاد المدعوون يأخذون أماكنهم حول لمائدة، ويباشرون بتناول الطعام، حتى بادر جلالته.

الخاتمة

يتبوأ الشاعر الأردني الكبير دولة الأستاذ عبد المنعم الرفاعي مركز الصدارة بين شعراء الأردن المعاصرين وفي الوطن العربي حيث تلمس في شاعريته أنه ابن عصره و بيئته، و أنه كان حاضر الذهن يرتجل الشعر ارتجالا دون تكلف و بخاصة عاطفته المتدفقة عندما يضرب أوتار قلبه بريشة فنه المبدع و عبقريته الفذة . كما كان ملازما لجلالة الملك الشاعر عبد الله بن الحسين الذي كان يسانده ويدفعه إلى قول الشعر، فينهال الشعر على لسانه بديهة و ارتجالا أو كتابة فينظم أروع القصائد ويخيل إليك أنك أمام شعر المتنبي أو أبي تمام.

والله ولي التوفيق،،،،

(أ) المصادر والمراجع

- ابن منظور، لسان العرب
- الأردن الكتاب السنوي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام عمان ١٩٦٧م
–تركي احمد، الحركة الشعرية في بلاط الملك عبد الله بن الحسين وزارة الثقافة والشباب . عمان ١٩٨٠م
- تيسير ظبيان الملك عبد الله كما عرفته، المطبعة الوطنية ومكتبتها عمان، ١٩٦٧م
- –ديوان مصطفى وهبي التل، عشيات وادي اليابس المؤسسة الصحفية الأردنية عمان ١٩٧٣ م
- –عبد اللطيف خليف التيارات الجديدة في الشعر العربي الحديث في مصر ١٩٧٧م
- –الملك عبد الله ابن الحسين الآثار الكاملة الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣م
- عيسى الناعوري الحركة الشعرية في الضفة الشرقية من المملكة الأردنية الهاشمية عمان ١٩٨٠م
- –فواز أحمد طوقان، الصورة الشعرية عند عبد المنعم الرفاعي، منشورات شقير و مكتبة عمان ١٩٩٣م
- –محمد احمد موسى، عبد المنعم الرفاعي حياته وشعره دائرة الثقافة والفنون عمان ١٩٨٧ م
- –ناصر الدين الأسد،محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن، معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٦٠م

(ب) الدوريات

- جريدة الرأي عدد ٢٧٦٣ بتاريخ ١٩٧٧/١١/١٨ م تجربتي في ديوان المسافر
- جريدة الرأي ٦٢٠٤ بتاريخ ١٩٨٧/٧/١ م مذكرات عبد المنعم الرفاعي
- جريدة الرأي عدد ٦٢١١ بتاريخ ١٩٨٧/٧/٨م مذكرات عبد المنعم الرفاعي الحلقة الثانية الأمواج
- جريدة الشرق الأوسط عدد ٢٥٤٣ تاريخ ١٩٨٥/١١/١٤ م
- جريدة الشرق الأوسط تاريخ ١٩٨٦/٤/٢٩ م من مقالة بعنوان عبد المنعم الرفاعي في خاطري بقلم أكرم زعيتر .
- مجلة المجلة عدد ١٣٤ أيلول، ١٩٨٢ م
- مجلة المنتدى من مقالة ب عنوان المساجلات في شعر عبد المنعم الرفاعي ل محمد احمد موسى عدد ١٦٦ تاريخ ١٩٩٦ م الامارات العربية المتحدة

(ج) المخطوطات

- عبد المنعم الرفاعي حياته وشعره / رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية اللغة العربية – جامعة الازهر.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥٢
الفصل الأول: المجالس الأدبية فى قصر الأمير عبد الله بن الحسين	٥٣
الفصل الثانى المساجلات فى شعر عبد المنعم الرفاعى	٥٧
الفصل الثالث: (أ) عبد المنعم الرفاعى وشعره السياسى	٦٧
(ب) بعض الملامح الشعرية فى شعر عبد المنعم الرفاعى	٧١
الخاتمة	٧٥
المصادر والمراجع	٧٦
فهرس الموضوعات	٧٨